اخذرو هذه الداخل السلفية

احذروا هذه المداخل الحزبية من خلال بعض القواعد السلفية (الحلقة الأولى)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين و بعد: فإن من خِصال أهل التحزُّب: لبسُ الحقِّ بالباطل، وإلباسُ الباطِل ثوب الحقِّ، وتسمية الأشياء بغير أسمائها الحقيقية، تلبيسًا على الناس، وتغريرًا بهم، حتى يتمكَّنوا من بثِّ شبهاتهم وسمومهم في أوساط أهل السنة خاصة، لا سيما في الأمكنة والأزمنة التي لا يقدرون فيها على المجاهرة بأباطيلهم، والتصريح بمعتقداتهم، فإنهم حينذاك يلجئون إلى المغالطات والخداع والتلبيس .

ومن هذه المغالطات و التلبيسات، ما يفعله الحزبيون المنحرفون من رفع شعار بعض الأصول السلفية، والتظاهر بالتمسك بها والسير على دربها، تستُّرًا منهم بها، وهم في حقيقة الأمر يريدون بها غير ما يريده أهل السنة، ويُفسِّرونها بغير تفسيرهم، و هي منهم عبارة عن كلمة حقٍّ يراد بها الباطل، وشعاراتٌ ظاهرها الحق والرحمة، وباطنها الشَّر و الفتنة والكيد لأهل السنة .

حتى انخدع بهم فئامٌ من الناس، إذ لم يتفطَّنوا لمكرهم، فوقعوا في شراكهم، وصاروا جنودًا لهم يستغلونهم في محاربة أهل السنة ويستكثرون بهم عليهم .

ولشِدَّة مفاسد هذه التلبيسات الحزبية على المنتمين للدعوة السلفية فضلًا عن غيرهم، رأيتُ أن أكتب هذا المقال الذي سأورد فيه بمعونة الله وإذنه عددًا من الأصول والقواعد السلفية التي تمَتْرَس بها أهل التحزُّب، و رفعوا شعارها، وتظاهروا بالسير عليها، تقية وخداعًا، مع بيان مخالفتهم لأهل السنة في تطبيقها، وإبراز مقاصدهم وأغراضهم من التدثُّر بها، كل ذلك مُستفيدًا إيَّاه، ومُستخلِصًا له من كلام علمائنا، وأئمتنا رحم الله أمواتهم، وحفظ أحياءهم .

ونبدأ بتوفيق الله بالأصل الأول:

** الحث على اتباع الدليل و النهي عن التعصب و التقليد **

اتباع الدليل والبعد عن التعصب والتقليد الأعمى للرجال يعتبر من أصول أهل السنة والجماعة، وأدلته أوضح من ضوء الشمس، وتطبيقات أئمة السنة له لا تكاد تحصى وتُعد .

بيْد أن بعض أهل التحزب قد رفعوا شعار هذا الأصل السلفي، و تظاهروا به، إلا أن مرادهم به ليس هو مراد أهل السنة، فإن مقصودهم منه: ردُّ أحكام العلماء على المنحرفين، وإسقاطها، بحجة عدم التقليد، مع أن أحكام علماء السنة على المخالفين، مُؤيدة بالأدلة الواضحة، والبراهين الساطعة، فالأخذ بأقوالهم والحالة هذه واتباعهم فيها، ليس من التقليد في شيء، زيادة على أنهم ثقات عدول يجب قبول أخبارهم في الرجال وبناء الأحكام عليها، فعلى السلفي أن يكون فطِنًا من مداخل الحزبيين و استغلالاتهم لألفاظ هذه الأصول السلفية .

وممن كان يتستَّر و يَتَمَتْرَسُ بهذه القاعدة السلفية لإسقاط جرح علماء السنة في المخالفين: أبو الحسن المأربي ومن تعصب له .

قال العلامة ربيع المدخلي حفظه الله:« أبو الحسن المصري المأربي وأنصاره... يزعمون للناس أنهم هم أهل السنة،

وأنهم أهل الدليل ولا يقبلون الأقوال إلا بأدلتها.. وأنهم لا يُقلِّدون أحدًا وأن فلانًا وفلانًا ليسوا بمعصومين، ولسنا بملزمين بقول فلان ولا بقول علان، ونحو هذه الدعاوى التي أثبتت الأحداث أنه يصدق عليهم ما قاله الخليفة الراشد علي رضي الله عنه في الخوارج حينما كانوا يرددون قولهم: «لا حكم إلا لله »، فقال: «كلمة حق أريد بها باطل» .
ونحن كنا ندرك أن ما كانوا يُردِّدُونه من الدَّعاوى العريضة، ومنها:..المطالبة بالبرهان، والتمسك بالدليل، ومحاربة التقليد.. .كنا ندرك أن كل هذا ظاهره كلام حق، ولكنهم يريدون به باطلاً عظيماً، يقصدون من ورائه الشغب والفتن على أهل الحق والسنن ..»["مجموعة كتب ورسائل الشيخ" (13/175-176)] .
وقال الشيخ ربيع حفظه الله: « دعوة أبي الحسن إلى عدم تقليد العلماء؛ إنما هي كلمة حق أراد بها باطلًا، أراد بها إسقاط العلماء، وإسقاط أقوالهم وفتاواهم المقرونة بالأدلة والبراهين، وقد بينت أنا والحمد لله فساد قصده وتعلقه بعدم التقليد في مقالي" جناية أبي الحسن على الأصول السلفية" » ["مجموعة كتب ورسائل الشيخ " (9/119-120)] .
** عذر المجتهد المخطئ **

المجتهد في طلب الحق والباذل وسعه في الوصول إليه، صاحب الأصول الصحيحة الذي يريد وجه الله تعالى، إذا أخطأ فهو معذور عند أهل السنة والجماعة، بل له أجر على اجتهاده، وليس كذلك أهل البدع أصحاب الأصول الخلفية .
وقد رفع أهل التحزُّب شعار هذه القاعدة السلفية، ونادوا كثيرًا بإعمالها، لكن ليس في حقِّ من ذكرنا أوصافهم من أهل السنة، ولكن في حقِّ رؤوس أهل الأهواء، فألبسوهم لباس المجتهدين، و أعطوهم أوصاف المعذورين، وجعلوا ضلالاتهم وأباطيلهم عبارة عن اجتهادات لا ينبغي أن يُنكر عليهم فيها، فضلًا عن تبديعهم بسببها، فهم كغيرهم ممن دار اجتهادهم بين الأجر والأجرين!! .
هكذا يُلبِّسون على الناس، محاولةً منهم للدفاع عن رموزهم وحمايتهم من جرح أهل السنة لهم .
و في كشف تلبيس أهل التحزب و ما يُخفونَه من وراء رفع هذا الشعار، يقول أخبرُ الناسِ بهم في هذا الزمان العلامة ربيع المدخلي حفظه الله:« أهل البدع ما نقول فيهم: إنهم مجتهدون؛ لأنهم متَّبعون للهوى بشهادة الله وشهادة رسوله -عليه الصلاة والسلام-، فالمبتدع الضالّ يفرّق الآن ويخطئ فيقول لك: هذا اجتهاد، لَمَّا قَتل حكمتيار والأحزابُ الضالّةُ جميلَ الرحمنِ، قالوا: هذا اجتهاد، استباحة دماء السلفيين اجتهاد عندهم، وهكذا لا يقع في ضلالة وطامَّة إلاَّ قالوا: اجتهاد.
فهذا تمييع الإسلام وخلط بين الباطل والضلال والبدع وبين الحقّ، ومساواة أخطاء المجتهدين التي يثابون عليها بالبدع التي توعَّد رسول الله عليها بالنار.
وقال: إنها ضلالة وقال: إنها شرّ الأمور.
فهذا تمييع وظلم للإسلام يجب أن يتبصَّر فيه المسلمون، فيميزون بين أهل الهدى وكيف ينتقدونهم، ويبيّنون أخطاءهم

وبين أهل الضلال وكيف يتعاملون معهم » ["أسئلة أبي رواحة " (السؤال الثالث)] .

وقال الشيخ ربيع حفظه الله:« إن كثيرًا من الناس، بل من الدعاة، من ينزل الناس غير منازلهم، فيجعل من رؤساء البدع الجهلة أئمة مجتهدين، لهم أجر المجتهدين في صوابهم وخطئهم، وينسى أن هؤلاء من أهل الأهواء، الذين يحملون بدعواتهم الضالة أوزارهم، وأوزار من تبعهم، لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا »[انظر: " مجموعة كتب ورسائل الشيخ " (5/220)] » .

وقال الشيخ ربيع حفظه الله:« الصراع بين أهل السنة وبين أهل الحق والباطل ليس آراءً اجتهادية، إن الذي يقابله ويخاصمه ما هو مجتهد هم من أهل الضلال، هذا كذب وتلبيس، كلها أباطيل ما هي اجتهادات، هذا يضل في الصحابة، ويضل في العقيدة، ويضل في الأصول، ويقال لك هذه آراء اجتهادية؟!! كلام فارغ، كل هذا كذب .

الواجب اتباع الحق، يعني هذا العالم إذا فعل بدعة يحذَّر من بدعته، وإذا كان على حق فيجب أن تأخذ بهذا الحق وتنصره، عرفتم؟.. .

يقول لك: هذا مجتهد، وما هو بمجتهد، صراع في أصول الدين وفي حملته يقول لك: اجتهادات .

هناك روافض، هناك خوارج أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقتلهم، هناك صوفية غلاة، وهناك مرجئة، وهناك جبرية فنَّد السلف ضلالاتهم، وحذَّروا منهم، ولم يقل السلف، أو أحد منهم: هذه آراء اجتهادية »[انظر: "المرجع السابق " (14/270-271)] .

** حسن الظن بأهل السنة **

حسن الظن بأهل السنة أصحاب المعتقد السليم، و المنهج القويم، و حمل كلامهم على المحامل الحسنة، وإساءة الظن بأصحاب الشبه والأباطيل و الضلالات يُعتبر من صميم منهج السلف .

قال العلامة زيد بن هادي المدخلي رحمه الله كما في " الأجوبة الأثرية عن المسائل المنهجية "(ص : 93): « لا يجوز سوء الظن بأهل السنة والجماعة الذين هم متمسكون بها والموالون لأهلها.. ويجوز سوء الظن بمن أتى بأسبابه.. ».

وقال العلامة ربيع المدخلي حفظه الله:« نزَّه الله أهل السنة عن سوء الظن بأهل الحق وأهل السنة، وعن حسن الظن بأهل الباطل والضلال فإنه من الأسباب المردية »[انظر: "مجموعة كتب ورسائل الشيخ " (13/363-364)] .

وقد أسرف أهل التحزب في استغلال هذا الأصل و أكثروا من المناداة بحسن الظن، وطالبوا بتطبيقه، لكن لا على طريقة أهل السنة في إعماله في حق السلفيين الصادقين، ولكن بجعله منطلقًا في معاملة إخوانهم من أهل الأهواء والبدع، في وقتٍ نجدهم يُسيئون الظن بأهل السنة .

فهذا واحدٌ من رؤوسهم وهو المدعو عدنان عرعور يقول مُطرِّدًا أصل أهل السنة في أهل البدع : « ينبغي أن ننطلق من حسن الظن، لا من سوء الظن » .

قال العلامة ربيع المدخلي حفظه الله مُبيّنًا مُراد عرعور بهذا الكلام:« قوله: « ينبغي أن ننطلق من حسن الظن »: يذكرني بما كان يوصي به البنا جماعته وأتباعه: بأن يحسنوا الظن بإخوانهم، ولهذا كانت بيوت الإخوان المسلمين ومراكزهم مفتوحة لكل أهل المذاهب .

وذكر عبد المتعال الجبري في هذه الحكاية، ذكر الإباضية والزيدية والعلماء في إيران والهند وشمال أفريقيا وشمال سوريا وكذا – يعني العلماء هؤلاء يعني الباطنية، فكنا قال: نجتمع مع بعض والإسلام يسعنا، وكنا نجتمع فلا يجرح أحدٌ منا مشاعر أخيه فلا نذكر مسائل الخلاف .

فهذا عدنان أخذ بوصية البنا بإحسان الظن والمبالغة في ذلك، وحسن الظن بالخوارج والمعتزلة والمرجئة والصوفية القبورية، ولا نفضحهم بما عندهم من الضلال؛ لأن ذلك ينافي حسن الظن الذي قرره البنا، وقلده في ذلك عدنان وأمثاله »[انظر: " المرجع السابق " (11/224-226)] .

** وفي بيان من يجب حسن الظن به وحمل كلامه على المحامل الحسنة، ممن لا يجوز ذلك في حقه، يقول العلامة زيد المدخلي رحمه الله، مجيبًا على سؤالٍ هذا نصُّه: حمل الكلام على المحمل الحسن ذريعة يتذرع بها الكثيرون ، فنقول : ما ضابط المحمل الحسن ؟ وهل يفرق بين السني السلفي وغيره في ذلك ؟

فأجاب رحمه الله: «..الكلام الذي ينبغي أن يحمل على المحمل الحسن ويلزم حسن الظن بصاحبه هو الذي يصدر من أهل العلم الشرعي السائرين على نهج الكتاب العزيز والسنّة المطهرة بالفهم الصحيح والعاضين عليها بالنواجذ و الذابين عنها بما آتاهم الله من قدرات علمية وحكمة دعوية ، إن هؤلاء إذا جرى منهم أو من أحدهم حديث ما ، في أيّ موضوع ما ، وكان في حديثهم أو بعضه أو حديث بعضهم احتمال لشيء مقبول وشيء غير مقبول مثلا فإن الكلام والحالة هذه يحمل على محمل حسن ويظن بصاحبه الظن الحسن مع الحرص على بيان الأمر وتجليته بالتفصيل حتى لا يبقى التباس على الناس..

وأما المصابون بداء الجهل وأمراض الشبهات والشهوات فإنه متى صدر منهم ما فيه ضرر على الإسلام والمسلمين من بدعة مضلة أو خطأ ناتج عن هوى متبع أو إعجاب بالرأي أو اقتداء بمنهج خطؤه أكثر من صوابه ، وضرره أعظم من نفعه ، وضلاله أظهر من هدايته؛ فإن من هذا شأنهم لا ينبغي أن يحسن بهم الظن ولا تلتمس لأخطائهم المعاذير فيما دونوه بأقلامهم أو نشروه في وسائل النشر فأوصلوه إلى سمع الناس وقلوبهم ليكون لهم فتنة في دينهم وشر على المسلمين وأبنائهم ...

ومن هذا العرض المختصر يظهر لك أيها السائل الفرق بين السني السلفي والبدعي الخلفي في الأمر المذكور ، ثم إن ما نسمعه من قادة أهل الأهواء والبدع في هذا الزمان وأتباعهم المقلدين لهم من كلمات التلبيس هو جهل ومكر وذلك أنهم يستخدمون تلك الكلمات لتسويغ ما ينشره منظروهم وساستهم مما فيه هدم لبعض الأحكام الشرعية المتعلقة ببيان العقيدة السلفية الصحيحة والمنهج العلمي العملي لتحل محلها البدع الضالة المضلة كقولهم لأهل الحق : « حسنوا الظن بإخوانكم » يعنون بذلك الإخوان الحزبيين المتكتلين ضد العلماء السلفيين الذين أنكروا وينكرون على

الجماعات تعددهم وتفرقهم ، واعتصامهم بمناهج مستوردة تناهض كثيرا من عواصم المنهج السلفي الحنيف »[" الأجوبة المختصرة على الأسئلة العشرة " (ص :56)] .
....يتبع بإذن الله تعالى .

احذروا هذه المداخل الحزبية من خلال بعض القواعد السلفية (الحلقة الثانية)
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين و بعد: فهذه الحلقة الثانية من مقالنا الذي بعنوان " احذروا هذه المداخل الحزبية من خلال بعض القواعد السلفية " .
ونستهله بعون الله بمسألة:
** الترحم على أهل البدع والصلاة عليهم **

الترحم على أهل البدع جائزٌ عند أهل السنة، وكذا الصلاة عليهم ما دام أنهم في دائرة الإسلام، ولا يتنافى ذلك مع هجرهم وتحذير الناس منهم .
سُئل العلامة – الربيع - بن هادي المدخلي حفظه الله: هل يجوز الترحم على أهل البدع؟
فأجاب وفقه الله:« أما الترحم على أهل البدع؛ فإنه يجوز الترحم عليهم، وهذا شيء عليه السلف الصالح، ومنهم أحمد بن حنبل، ودل على ذلك نصوص من كتاب الله تبارك وتعالى ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم »[انظر: " مجموعة كتب ورسائل الشيخ "(14/159)] .
** إلا أن السلف قد استحبوا لمن كان عالمًا مُتَّبعًا مُقتدًى به بين الناس أن يترك الصلاة عليهم تأديبًا و زجرًا، وردعًا للناس عن مثل حالهم .
سئل العلامة ربيع السنة المدخلي حفظه الله: ما هو ضابط أهل السنة والجماعة في الصلاة على أهل البدع، وهل يجوز الترحم عليهم؟
فقال:« السلف إذا درست كتبهم تراهم في الأمور الظاهرة، إذا وقع الإنسان مثلًا في القول بخلق القرآن، أو عطل صفات الله، الأمور الظاهرة، إذا وقع فيها فإن السلف يبدعونه، ويشددون في ذلك إلى حد التكفير .
أما قضية الترحم؛ يرون الصلاة على أهل القبلة جميعًا، ما داموا من أهل القبلة، ويصلون إلى هذه القبلة، هذا كثير وموجود في كتب السلف، والصلاة ترحم عليهم، لكن إذا كان هناك إمام متَّبَع فله أن لا يصلي على هذا المبتدع حتى يعرف الناس حقارة البدعة، وأما سائر الناس فلهم أن يصلو على هذا المبتدع؛ بل يجب عليهم؛ لأنه من فروض الكفايات أن يصلوا على هذا المسلم ولو كان مبتدعًا، ولهم أن يترحموا عليه، وإذا كان هناك إنسان متبع ويريد أن يؤدبه فلا يترحم عليه، ولكن لا يُحَرِّم الترحم ولا يمنع منه »[انظر: "المرجع السابق"(15/319)] .
** وقد حاول أهل التحزُّب استغلال هذه المسألة، - بل استغلُّوها -، لتلميع أهل البدع والثناء عليهم وتمجيدهم، كما

فعل أبو الحسن المأربي فيما نقله عنه العلامة ربيع المدخلي حفظه الله، حيث قال: « الحقيقة أن الإخوان المسلمين على يعني ما فيهم وما قدموه من أجل الدعوة إلى الله عز وجل، رحم الله أمواتنا وأمواتهم وأموات جميع المسلمين وأسأل الله أن ينزلهم منازل الشهداء ويرفعهم عنده سبحانه وتعالى في منازل عالية..» .

قال الشيخ ربيع أيَّده الله معلِّقًا على كلام أبي الحسن هذا:« الترحم على أهل البدع جائز عن أهل السنة وأنت تتكىء على هذا، لكن تطبيقك بهذه الحرارة والمبالغة ينبىء عن دوافع غير سلفية ، فأهل السنة الصادقون لا تجد عندهم هذه الروح ولا هذه المبالغات التي قد لا يقولونها في كبار أهل السنة »[انظر: "المرجع السابق"(13/334-335)] .

** ومن باب الفائدة- والشيء بالشيء يذكر: فإن الذين حرَّموا الترحم على أهل البدع، ومنعوا منه مطلقًا، هم الحدادية الغلاة، و قد عدَّ حامل راية الجرح والتعديل ذلك من علاماتهم وميزاتهم التي تميزوا بها واشتهروا بها بين الناس، فقال حفظه الله في مقال بعنوان: "صفات الحدادية" وذكر منها:

- تحريم الترحم على أهل البدع بإطلاق، لا فرق بين رافضي وقدري وجهمي وبين عالم وقع في بدعة .

- تبديع من يترحم على مثل أبي حنيفة والشوكاني وابن الجوزي وابن حجر والنووي...»[انظر: "المرجع السابق"(9/470)] .

**كلام الأقران يُطوى ولا يُروى **

هذه القاعدة عند أهل السنة ليست على إطلاقها، فإن كلام الأقران بعضهم في بعض إنما يُطوى ولا يُروى إذا لاح فيه البغي، وعُلم أنه ناتجٌ عن حسدٍ وتنافس وحظوظ النفس، فإن خلا من ذلك، وكان بدافع الديانة، فهو مقبول إن صدر من أهلٍ له، بأدلته.. .

** إلا أن أهل التحزُّب والهوى قد حاولوا التمترس بهذه القاعدة، والتسلل من خلالها لرد جرح علماء السنة في أهل البدع المؤيَّد بالحجج والبراهين، ، بدعوى أنه من كلام الأقران بعضهم في بعض، فلا يُؤخذ به، و يُطوى ولا يُروى .

وفي كشف ستر أهل التحزُّب وفضح مقاصدهم بهذه القاعدة يقول العلامة ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله مجيبًا على سؤال هذا نصُّه: ما تعريف الأقران في علم الحديث؟ و هل إذا طبقت قاعدة : كلام الأقران يطوى و لا يروى، أعددنا ذلك التطبيق طعنا في الشيخين؟

فكان مما أجاب به حفظه الله أن قال:«..كتب الجرح و التعديل مليئة بالأقران، فلو أخذنا بهذه القاعدة ما قدمنا شيئًا، فهذه يلبس بها أهل الباطل،...البعض يُلبِّسُون بها لإسقاط نقد أهل السنة في أهل البدع، فإذا كان واحد مبتدع ضال.. بذاته نقول هذا أقران،...وإلا ابن عثيمين على المالكي وأمثاله نقول.. أقران؟ كلام سخيف! بارك الله فيكم، ومن يتكلم في الخميني نقول أقران؟ ها.. من يتكلم في سيد قطب نقول أقران؟ وهو يسب الصحابة و يطعن في الأنبياء وإلخ ... .

على أن نقد العلماء لأمثالهم الأصل أنهم يأخذوه من الكتب بارك الله فيكم، قال فلان في الكتاب الفلاني في الصفحة

الفلانية، يعني كلام مدلَّل مثبَّت موثق، كيف نقول هؤلاء الأقران يلغى كلامهم؟ ممن يسب أبو بكر و عمر مثلا، أو يسبّ عثمان، و أنقل كلامه، و أقدمه للناس تحذيرًا من كتابه و من شخصه أيضا، يُقال هذا كلام أقران؟ هذه كلها من تلبيسات أهل البدع و الضلال، و من التمييع أيضا في نفس الوقت ...»[من " شريط سمعي" في موقع الشيخ حفظه الله في الكلام على فتنة فالح الحربي] .

** قبول الحق من كل من جاء به ورد الباطل على كل من قال به **

من تعظيم أهل السنة للحق أنهم يدورون معه حيث دار، ويقبلونه من كلِّ أحد لا لشيء إلا لأنه الحق، كما أنهم يرفضون الباطل والخطأ و لا يقبلونه و يردُّونه على قائله ومن جاء به كائنًا من كان، ولذا؛ تجدهم يعرفون الرجال بالحق، ولا يعرفون الحق بالرِّجال .
يقول الإمام ابن القيم رحمه الله كما في "الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة "(2/516):« فمن هداه الله سبحانه إلى الأخذ بالحق حيث كان ومع من كان ولو كان مع من يبغضه ويعاديه، ورد الباطل مع من كان ولو كان مع من يحبه ويواليه، فهو ممن هُدي لما اختلف فيه من الحق، فهذا أعلم الناس وأهداهم سبيلا وأقومهم قيلا » .
وقال العلامة ربيع المدخلي حفظه الله:« أهل السنة والحمد لله هم دائمًا يدورون مع الحق، ومع النصوص حيثما دارت » [انظر كتاب الشيخ " قرة العينين بتوضيح معاني عقيدة الرَّازيين " (ص34)]

** وهذه القاعدة السلفية قد حاول أهل التَّحزُّب التسللَ من خلالها والدخول من بابها، و سعوا لاستغلالها في الدِّعاية لأهل البدع والضلال، فطالبوا بمعاملة المبتدعة من منطلقها، وذلك بالجلوس إليهم والقراءة في كتبهم، وأخذ ما عندهم من الحق، وترك ما سواه من الباطل، بحجة أن « الحق يقبل من كل من جاء به » .
فلماذا إذًا؛ نرفض الحق الذي مع أهل البدع ولا نجلس إليهم لأخذه؟
** هكذا يُلبِّس أهل الأهواء على الناس ويكيدون للمسلمين، فيتظاهرون بإعمال القواعد السلفية والسير على دربها، لاصطياد أهل الغفلة من المسلمين والرَّمي بهم في أحضان أهل الأهواء والبدع .
وإقفالًا لهذا المدخل الخطير الذي يتمترس به أهل التحزب وسدًّا لذرائعهم التي يتذرَّعون بها للوصول إلى مقاصدهم الخبيثة، أمر أهل السنة بهجران أهل البدع و ترك النظر في كتبهم لما فيها من الشبهات، التي تتخطف القلوب وتفسدها .
قال حامل راية الجرح والتعديل بحق –الربيع- بن هادي المدخلي حفظه الله تعالى:« كثير من الناس يخدع الشباب ويقول:(اقرأ، اقرأ وخذ الحق واترك الباطل)، ويكون الشباب مساكين ما عندهم شيء، ما عندهم تمييز بين الحق والباطل، فيقع في الباطل ويظنه حقًّا، ويحارب الحق ويظنه باطلاً، وهذا حصل لكثير من الناس بهذه المصيدة .

فالسلف ما كانوا يقرءون لأهل البدع، وأُلِّفت كتب في التحذير من كتب أهل البدع، ومنها كتاب الموفق بن قدامة في تحريم النظر في كتب أهل البدع، وهناك تحذيرات من الإمام أحمد بن حنبل والذهبي وابن تيمية وابن القيم، كلهم حذَّروا من كتب أهل البدع تحذيرًا شديدًا، حذَّروا منها، وبعضهم يرى إحراقها، ومنهم ابن القيم، ومنهم أحمد بن حنبل أو إتلافها؛ لأنَّ فيها دماراً للأمة فيها إفساد .

فلما انتشرت كتب أهل البدع في أوساط المسلمين، تساهل كثير من المسلمين ووقعوا في حبائل أهل البدع، صار هذا معتزليًّا، وهذا جهميًّا، وهذا أشعريًّا، وهذا صوفيًّا، وهذا وهذا...وما بقي إلا قلة ممن يسلك مسلك السلف الصالح في هذا الخضم الهائل من أهل البدع والعياذ بالله، ما السبب؟ السبب هو مثل هذه النظرية:« أقرأ وآخذ الحق وأترك الباطل»، فيأتي فيأخذ الباطل ويرد الحق... وقد كان السلف أمثال ابن سيرين إمام من أئمة السنة، وأيوب السختياني يعرض عليهم من أهل البدع أن يقرءوا عليه آية من القرآن يقول:« ولا نصف آية» لماذا؟ يفهم أن هذا يريد أن يلبس عليه، ويتلوا الآية عليه ليستخرج منها شبهة، فيقول: « لا أسمع»، لماذا يفعل هذا؟ يقول:« إن قلبي ليس بيدي، وأخاف على نفسي الفتنة » [انظر:" مجموعة كتب ورسائل الشيخ "(16/15-17-18)] .

** وللفائدة وردًّا على شبهة أهل التحزُّب، فإن السلف يفرِّقون بين قبول الحق وبين التماسه وطلبه، فيقبلونه من كلِّ من جاء به وأوقفهم عليه، لكنهم لا يلتمسونه ابتداءً ولا يطلبونه من غير أهل السنة، وقاعدتهم في ذلك معلومةٌ مشهورة، وهي قولهم: «إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم » .

** التزام العدل و الإنصاف في معاملة المخالف والكلام في الرجال **

منهج أهل السنة والجماعة في الجرح والتعديل ومعاملة المخالفين، وفي جميع الميادين، منهجٌ قائمٌ على العدل والإنصاف .

يقول العلامة ربيع المدخلي حفظه الله: « الذي نعرفه عن أهل السنة العدل والانصاف، فإذا بدَّعوا أحداً من الناس فإنما يبدعونه بحق.. .

لقد كان السلف يبدعون الأفراد والجماعات بحق وعدل والسالكون على طريقهم يترسَّمون خطاهم بحق وعدل »[انظر: "مجموعة كتب ورسائل الشيخ"(10/138-139)] .

وقال حفظه الله:« إن أهل السنة والجماعة من أبرز صفاتهم الإنصاف والعدل.. » [انظر: " المرجع السابق" (9/578-579)] .

** و قد رفع أهل التَّحزُّب والرَّدى شعار هذه القاعدة السلفية، وتظاهروا بهذه الميزة السُّنِّية ودسُّوا في ثناياها السُّم الزُّعاف، فأوجبوا إعمال منهج الموازنات بين حسنات المردود عليه وسيِّئاته في سياق الرد على ضلالاته والتحذير من أخطائه، كلُّ ذلك باسم: العدل والإنصاف، فزعموا بأن إغفال ذكر محاسن المردود عليه عند نقده، ظلمٌ له، وهضمٌ لحقِّه وبغيٌ عليه، ولا يُرفع عنه هذا العدوان إلا بذكر محاسنه، كلُّ ذلك يفعلونه للدفاع عن رموزهم وحمايتهم من الجرح

والنقد .

وقد بيَّن العلامة ربيع المدخلي حفظه الله؛ الذي هو أول من تصدَّى لهذه البدعة بأن ما يُسمى بمنهج الموازنات المحدث لا علاقة له بالعدل والإنصاف، ولا يمتُّ إليه بصِلة، إذ لو كان من العدل والإنصاف لكان من صميم منهج السلف القائم على العدل و الإنصاف، فكيف خلا منه منهج السلف، وهل خلوُّ منهج السلف الصالح منه يدلُّ على أن منهجهم في النقد قائمٌ على غير العدل والإنصاف؟ هذا لازمٌ لأصحاب هذا المنهج لا محيد لهم عنه .

قال العلامة- الربيع- بن هادي المدخلي حفظه الله :« إن أئمة الإسلام تكلموا في أهل البدع وفي الرواة، ولم يشيروا من قريب ولا من بعيد إلى وجوب أو اشتراط هذه الموازنة، وألفوا كتبًا في الجرح والتعديل، وكتبًا في نصر السنة والرد على أهل البدع وجرحهم، وكتبًا في العلل، وكتبًا في الموضوعات، ولم يوجبوا هذه الموازنة لا من قريب ولا من بعيد، بل ألفوا كتبًا خاصة بالجرح، وخصصوها بالمجروحين أو بمن تُكلِّم فيهم بجرح، ولم يشترطوا هذا الشرط لا من قريب ولا من بعيد...

إن هذا المنهج الذي يشترط الموازنة، لما يعود على أئمة الإسلام بالطعن، وإيقاعهم في شبك الاتهام بالظلم والخيانة، ونعوذ بالله من منهج هذه من نتائجه »[انظر: " المرجع السابق " (5/179-180)] .

** ومن هنا يتبيَّن لنا بأن منهج الموازنات المحدث لا يدخل بأي شكلٍ من الأشكال في باب العدل والإنصاف، بل ولا هو من لوازمه، فبطل تستر أهل التحزب من ورائه لقصد تمرير بدعتهم ونشر شبهتهم .

سُئل العلامة العثيمين رحمه الله عمن يقول: إن من العدل والإنصاف عند النصيحة والتحذير من البدع وأهلها: أن نذكر حسناتهم إلى جانب سيئاتهم؟

فأجاب رحمه الله:« أقول لك : لا ، لا ، لا هذا غلط »[من شريط سمعي لعدد من المشايخ حول منهج الموازنات] .

فاحذروا معشر أهل السنة من غلَطِ ومُغالطات أهل التحزب وتفطَّنوا لمقاصدهم التي يخفونها من وراء هذه الشعارات، كما تفطَّن الإمام أحمد للجهمية لما تستَّروا ببدعة اللفظ، وتمترسوا بالقول بالوقف، في زمن المحنة .

** أخذ الناس بظواهرهم و رد سرائرهم إلى الله **

من أصول أهل السنة والجماعة أنهم يأخذون الناس بظاهر أقوالهم وأعمالهم، ويكِلون سرائرهم إلى الله تعالى، فمن أظهر لهم خيرًا أمِنوه وقرَّبوه وأثنوا عليه خيرًا، ومن أظهر لهم شرًّا لم يأمنوه ولم يقرِّبوه وإن زعم أن سريرته حسنة .

وعمدتهم في ذلك أدلة كثيرة من الكتاب والسنة، منها: قوله صلى الله عليه وسلم: « إني لم أومر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم »[الحديث: أخرجه البُخَارِيّ (4094) ، وَمُسلم (1064) عن أبي سعيد رضي الله عنه] .

ومنها ما أخرجه البخاري(2641)عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: « إنَّ أناسا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنَّ الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا

خيرًا أمناه وقربناه، وليس إلينا من سريرته شيء، الله يحاسبه في سريرته ومن أظهر لنا سوءًا لم نأمنه ولم نصدقه وإن قال إن سريرته حسنة » .

قال العلامة ربيع المدخلي حفظه الله:« ومن مستنداتهم (أي أهل السنة) الأصل العظيم القائم على الأدلة والبراهين، ألا وهو الأخذ بالظاهر، المأخوذ من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وتطبيقاته، ومن قول الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وتقرير الصحابة له على هذا الأصل، وتطبيقات علماء الأمة وعلى رأسهم أئمة الجرح والتعديل »[انظر: "مجموعة الكتب والرسائل"(13/467)] .

** وقد حاول أهل التحزب استغلال هذا الأصل السلفي و التستر به للدفاع عن رموزهم و رؤوسهم، وطالبوا بمعاملتهم بالظاهر الذي يتظاهرون به من الصلاح والتقوى، وإحسان الظن بهم، وترك التنقيب عن أخطائهم، و اتهموا أهل السنة الذين لم ينخدعوا بظواهرهم المزيفة لما عندهم من القرائن الموجبة لسوء الظن بهم: بأنهم يخالفون أصل الأخذ بالظاهر، وبأنهم يتدخلون في النيات، ويطعنون في المقاصد، وجعلوا يُلبّسون على الناس بهذا الهذيان .

والحق أن أهل السنة إنما بنوا سوء ظنهم بأهل التحزب، وطعنوا في مقاصد بعضهم، ولم يكتفوا بظواهرهم، لما عندهم من القرائن القوية الموجبة لذلك، ولأجل ما عند أهل التحزب من الشبه والرِّيب فكيف يُحسن الظن بمن هذا حاله، ويُكتفى بما يُظهره من الصلاح ؟.

يقول العلامة ربيع المدخلي حفظه الله:« يجب الحذر منهم غاية الحذر...وما هم فيه من الشبهات و التخبطات والانحرافات، وهم يريدون السوء لمن يثق فيهم، ولمن يجالسهم ويخالطهم؛ ولهذا تراهم يسلكون شتى المسالك لصد أهل الحق، ولا سيما الشباب عن منهج الله الحق ...

الرسول عليه السلام تلا هذه الآية:(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَما يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الْأَلْبابِ) [آل عمران:7] لما تلاها قال:« فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم » . [الحديث: أخرجه البخاري: (4547) ، ومسلم: (2665) عن عائشة رضي الله عنها] .

فهؤلاء أهل الأهواء وأهل الزيغ هم الذين يتتبعون المتشابهات، الرسول صلى الله عليه وسلم يقصد أن أهل الزيغ الذين يتبعون المتشابه هم الذين يجب أن يحذرهم الناس...، وعلى هذه الشاكلة أهل البدع في كل زمان ومكان ... فإحسان الظن بأهل الانحرافات، وأهل البدع والضلالات، مخالفٌ لمنهج الله تبارك وتعالى، فلا بد من الحذر منهم، ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم: « فإذا رأيتم من يتبع المتشابه فأولئك الذين لعن الله فاحذروهم » .

ما قال أحسنوا بهم الظن كما يقول الآن كثير من أهل الأهواء: أنتم تتكلمون عن النوايا، أنتم تتكلمون عن المقاصد، يا أخي إذا رأينا عندك شبه وضلالات أنت مُتهم، الله حذرنا منك، ورسول الله حذرنا منك، كيف لا نحذر منك، وكيف نحسن بك الظن وقد نهنا الله تبارك وتعالى إلى سوء قصدك، وحذر رسول الله منك..فالذي يحترم المنهج

السلفي ويحترم العقيدة السلفية ويحترم أهل هذا المنهج سابقهم ولاحقهم، كيف يحسن الظن ويركن إلى أهل الباطل »[انظر: "المرجع السابق"(4/335-337)] .
وقال الشيخ ربيع حفظه الله:« توجد ظاهرة خطيرة، وهي أن أهل الحديث والسنة إذا دافعوا عن الحق وأهله؛ اتَّهمهم المرتجفون خوفاً على أهل البدع بأنهم ... يسيئون الظن بالناس ويتدخلون في نياتهم !! ولكن لا مانع أن يُتَّهَمَ أهلُ الحديث بأي تهمة، بما فيها أنهم يسيئون الظن بالناس، ويتدخلون في نياتهم وطوايا نفوسهم !»[انظر: "المرجع السابق"(13/81)]، والعلم عند الله تعالى .
....يتبع بمشيئة الله .

احذروا هذه المداخل الحزبية من خلال بعض القواعد السلفية(الحلقة الثالثة)
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين و بعد: فهذه الحلقة الثالثة من مقالنا الذي بعنوان " احذروا هذه المداخل الحزبية من خلال بعض القواعد السلفية ".
** أخذ العلم والدين عن الأكابر **

التماس العلم والدين عند الأكابر إن كانوا متوافرين هذا هو الأصل عند أهل السنة، لا يتمارى فيه اثنان، فعن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: قال- رسول الله صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- :«البركة مع أكابركم »[صححه العلامة الكبير ناصر الدين الألباني في " الصحيحة "(1778)] .
** قال عبد الله بن المبارك:« لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم وعن أمنائهم، فإذا أخذوا من صغارهم وشرارهم هلكوا »[" أخرجه ابن عدي في الكامل (1/157) والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (217رقم275)] .
وكلام أهل العلم و وصاياهم بأخذ العلم والدين عن الكبار أشهر من أن يُذكر .
إلا أن أهل التُّحزُّب والهوى قد حاولوا بمكرهم استغلال هذه المسألة، حمايةً لأنفسهم من نقد مشايخ السنة لهم ، فأسقطوا جرحهم لهم،- ولمن هم على شاكلتهم- القائم على الحجج والبراهين، بحجة أنهم ليسوا من العلماء الكبار!! فلا يؤخذ بجرحهم و تحذيراتهم .
وبمثل هذه الشبهة حاول الحدادي فالح الحربي التنصلَ من جرح أهل السنة له، وإسقاطه .
قال العلامة ربيع المدخلي حفظه الله:« وفالح لمَّا ذكر النجمي وزيداً ومحمد هادي وغيرهم طعن فيهم وأخرجهم من زمرة العلماء؛ لأنَّهم ليسوا في هيئة كبار العلماء!!.. .- ما شاء الله- النَّجمي و زيد وفلان و فلان طردهم فالح من زمرة العلماء لماذا؟ لأنَّهم ليسوا من هيئة كبار العلماء ومعلوم أنَّ فالحًا لا يحترم هيئة كبار العلماء وغيرهم بل هو يطعن فيهم وهذا شيء متواتر عنه...يريد أن يجعل من مناصب هيئة كبار العلماء صَوْلجاناً لمطاردة علماء السنَّة الذين أدانوه

بمخالفة منهج السلف، فأخرجهم بهذا الصولجان من زمرة العلماء،.. .
أنا أريد أن أسمّي وأقول: فلان وفلان من تلاميذ الشيخ النَّجمي، كيف يقول إنَّ علماء الهيئة معتبرين والشيخ النَّجمي وإخوانه غير معتبرين؟!.. إنَّها لموازين حدادية فاسدة »[انظر: "مجموعة كتب ورسائل الشيخ " (9/440-441)].
** و قال الشيخ محمد بن عمر بازمول في رسالته "عبارات موهمة":« من العبارات الموهمة:
قول بعضهم: « هذا الشيخ ليس من العلماء الكبار ».
هذه الكلمة يرددها بعض الناس إذا أراد أن يرد كلاماً قاله أحد المشايخ، أو إذا أراد أن يصرف أحداً عن السماع لهذا الشيخ أو الأخذ منه؛ وخاصة فيما هو من باب إنكار المنكر والتحذير من البدع والتنبيه على الخطأ.
وهذا من الباطل، الذي هو من نفثات الشيطان، ليصرف عن السماع للحق أو قبوله، وهي كلمة مردودة من وجوه..
منها: أن هذه الكلمة أصبحت من معاول الهدم عند أهل البدع يردون بها كلام أهل السنة والجماعة، فكل عالم يحذر من بدعة يقعون فيها أو من خطإٍ يتجارون فيه، يدفع كلامه ويحذر منه بأنه ليس من العلماء الكبار؛ فينبغي مخالفة أهل البدع والحذر من مناهجهم التي يحاربون بها الحق وأهله.
و منها: أن معنى هذا الكلام أن لا حق في إنكار الخطأ الذي يقع فيه هؤلاء الذين يسمون بالدعاة، أفراداً أو جماعات إلا لمن كان عندهم من العلماء الكبار، وهذا غير صحيح..
و منها: أن العالم حينما يذكر لك بدعة أو خطأ وقع فيه هذا الرجل أو ذاك، فإنه يخبرك عن حاله، وخبر الثقة مقبول، إلا أن يعارضه خبر مثله، و لا يشترط في ذلك أن يكون الرجل من العلماء المشهورين أو أن يكون من العلماء الكبار، إذ هذا لم يذكره الأئمة في شروط قبول الخبر! فالقول به خروج عن ما قرره أهل العلم!
و منها: أن واقع حال قائل هذه الكلمة يدل على أنه يريد فقط تقرير البدعة وترك إنكارها، لأنك حتى لو جئت له بكلام أهل العلم الكبار في رد هذا البدعة، أو هذه المقالة الباطلة، أو في توضيح خطأ هذا الرجل أو ذاك، لرده أيضاً ولكن بمقولة أخرى كأن يقول:
يا أخي هذا الشيخ يؤثر عليه الذين حوله، أو يا أخي لا تفتشوا عن عقائد الناس وأخطائهم، أو يا أخي إسقاط الرموز أمر ليس بالهين، أو أنا غير ملزم بكلام هذا الشيخ، أو نحو هذه العبارات؛ والنتيجة أن يستمر الباطل وتستمر الدعوة إلى هذا الشخص وبدعته، ويمرر دعاة الباطل ويلمعون على حساب السنة وأهلها » .

** لا تقل بقول ليس لك فيه سلف **

منهج أهل السنة قائمٌ على الاتباع لا الابتداع، ومن هنا قالوا: إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام، أو تقول

بقول في الدين لم تُسبق إليه، فإنه يسعك ما وسع السلف .
سُئل العلامة ربيع المدخلي حفظه الله وجعل الجنة مثواه: هل يشترط لكل مسألة سلف، نرجو التفصيل؟
فأجاب:« نعم، هذا الأصل في أمور الدين أنه لابد من سلف في أمور العقيدة، وأمور المنهج، لابد من سلف، وكلام الإمام أحمد رحمه الله في هذا مشهور: « إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام »[انظر: "مجموعة كتب ورسائل الشيخ " (15/28)].
** ومن مكر أهل التحزب والهوى وخديعتهم لمن يثق فيهم تظاهرهم بالسير على هذا الأصل السلفي، وبأنهم لا يخرجون عن أقوال العلماء، ولا يقولون إلا بقول سُبقوا إليه، ويُلبِّسون على الناس بأنهم مسبوقون بفلانٍ وفلانٍ من العلماء، فيما ذهبوا إليه، فيجعلون زلَّات بعض العلماء في الثناء على بعض أهل البدع حجة لهم في الدفاع عنهم والتعصب لهم، و رفض جرح من جرحهم من علماء السنة .
كما أنهم يجعلون سكوت بعض العلماء وعدم تبديعهم لبعض الحزبيين حجةً لهم أيضًا في عدم تبديعهم، بل والأخذ عنهم، مع أنه قد بُدِّعوا من قبل غيرهم من علماء السنة ومشايخها، وهم في كلِّ هذا يتلاعبون بعقول الناس ويدَّعون أنهم مسبوقون إلى مثل هذه المواقف، وبأنَّ لهم سلفًا فيها، دفعًا لإنكار أهل السنة عليهم، وتمترسًا منهم بزلات العلماء .
قال العلامة ربيع المدخلي حفظه الله: « ويجب أن يعلم علماؤنا الأفاضل أن لأهل الأهواء والتحزب أساليب رهيبة لاحتواء الشباب، والتسلط والسيطرة على عقولهم، ولإحباط جهود المناضلين في الساحة عن المنهج السلفي وأهله.
من تلكم الأساليب الماكرة: استغلال سكوت بعض العلماء عن فلان و فلان، ولو كان من أضل الناس، فلو قدم الناقدون أقوى الحجج على بدعه وضلاله فيكفي عند هؤلاء المغالطين لهدم جهود المناضلين الناصحين: التساؤل أمام الجهلة؟ فما بال فلان وفلان من العلماء سكتوا عن فلان وفلان؟! و لو كان فلان على ضلال لما سكتوا عن ضلاله؟! وهكذا يلبسون على الدَّهمَاء ؛ بل وكثير من المثقفين .
وغالب الناس لا يعرفون قواعد الشريعة ولا أصولها التي منها: أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات، فإذا قام به البعض سقط عن الباقين.
ومن أساليبهم: انتزاع التزكيات من بعض العلماء لأناس تدينهم مؤلفاتهم ومواقفهم ونشاطهم بالبعد عن المنهج السلفي، ومنابذة أهله وموالاة خصومه وأمور أخرى .
ومعظم الناس لا يعرفون قواعد الجرح والتعديل، وأن الجرح المفصل مقدم على التعديل؛ لأن المعدل يبني على الظاهر وعلى حسن الظن، والجارح يبني على العلم والواقع، كما هو معلوم عند أئمة الجرح والتعديل.
وبهذين الأسلوبين وغيرهما، يحبطون جهود الناصحين ونضال المناضلين بكل سهولة ويحتوون دهماء الناس بل كثير من المثقفين، ويجعلون منهم جنودًا لمحاربة المنهج السلفي وأهله والذب عن أئمة البدع والضلال.
وما أشد ما يعاني السلفيون من هاتين الثغرتين التي يجب على العلماء سدهما بقوة وحسم لما ترتب عليها من المضار والأخطار »[انظر: كتاب "الحد الفاصل" (ص170)] .

** وقال العلامة ربيع المدخلي حفظه الله في سياق رده لأباطيل المأربي أبي الحسن، الذي كان ممن يستخدم هذا الأسلوب الحزبي:« والحقيقة أن الرجل يخفي شرًّا عظيمًا من وراء هذه الفقرة، إنه يريد بها: أنه إذا وقع في باطل، أن يذهب تحت ستارها يبحث وينقب عن هفوات وأخطاء بعض العلماء فإذا وجد ما يشبه باطله من كلامهم فرح به مهما ابتعد عن الحق والصواب، وذهب يصول به ويجول على من ينتقد أخطاءه ولو كان معه الحجج الواضحة والبراهين الساطعة ولو كان معه الصحابة والتابعون وأهل السنة أجمعون .

إن هذه الفتنة قد أعدَّ لها أبو الحسن العدة ومنها ما يخفيه من وراء هذه القاعدة من الشر.. سائراً في كل ذلك خلف من ذكرنا، وتحت ستار المصلحة وتحت ستار: قد سبقني إلى ذلك فلان وفلان، تاركاً للعلماء ولأدلتهم من الكتاب والسنة الواضحة وأقوالهم الصحيحة الراجحة التي لا تقيم لقيوده وزناً.. .

ومتستِّرًا وراء بعض هذه العبارات التي صدرت ممن يحارب هذا المذهب الفاسد كعادته في تصيد الزلات ليدعم بها الضلالات »[انظر: "مجموعة كتب ورسائل الشيخ " (13/452-453)] .

** و قال الشيخ ربيع حفظه الله:« هذه سبع مسائل تمت مناقشة أبي الحسن فيها جعلتها نموذجاً لمسائل كثيرة لم أناقشها..

دع عنك التركيز على التشويه الظالم ومحاولة إسقاط علماء السنة.. ثم سيره على أصول فاسدة في حربه لأهل السنة سبقت مناقشتها في غير هذا البحث وله في اللجاج أصول جديدة :

مثل أصله: « وقد سبقني إلى هذا فلان » .

« وقد مر ذلك على الشيخ ربيع وغيره ولم ينتقدوه »

قال هذا في مماحكته لابن عثيمين .

« ووقف فلان وفلان على كلامي هذا ولم ينتقداه » .

« وقد اطلع على كلامي هذا العلماء ولم ينتقدوه » .

يقول مثل هذه المقالات لرد الحق، سواء ناقشه ربيع أو المفتي أو الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ويجعل مثل هذه الأقوال المتهافتة حججاً يقاوم بها من ينتقده بحق.

وكل هذا مع دعاواه العريضة هو وشيعته، بأنهم لا يقلدون وأنهم أصحاب الدليل..و يتشبَّثُون بالأقوال الباطلة تحت ستار: سبقني فلان ..إلخ، وهذا من شر أنواع التقليد المذموم الذي لا يصدر إلا عن تلاعب وسوء مقاصد »[انظر: "المرجع السابق" (13/537-538)] .

** الدعوة إلى الاجتماع و نبذ الفرقة **

* الدعوة إلى الاعتصام بالكتاب والسنة و الاجتماع عليهما، و نبذ الفرقة والخلاف، والقضاء على أسبابهما، يعتبر من

أصول الدعوة إلى الله، عند أهل السنة والجماعة .

وأدلة هذا الأصل من الكتاب والسنة وأقوال السلف، لا تكاد تحصى كثرة .

ومن تلبيسات أهل التحزب: تظاهرهم بالدعوة إلى هذا المقصد الشريف، و العمل على جمع كلمة الأمة و السعي في توحيد صفوفها، لكن على ماذا؟ هل على الحق والهدى كما هو حال أهل السنة؟ كلَّا؛ بل لا همَّ لهم إلا مجرد اللفلفة والتجميع، ولو على حساب الحق، ولو مع تناقض العقائد والمناهج وتنافر القلوب.

ومن أجل ذلك أصلوا الأصول الفاسدة، وقعَّدا القواعد الكاسدة ومنها قولهم: « نتعاون في ما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه »، .

وانطلاقا من هذه القاعدة دعوا إلى التآخي بين جميع المسلمين سنيهم وبدعيهم، وأقاموا المؤتمرات للتقريب بين السنة والشيعة، كما أنهم أعرضوا عن الدعوة إلى التوحيد بدعوى أنها تفرق المسلمين، و بنفس هذه الحجة اعترضوا على أهل السنة وأنكروا عليهم قيامهم بواجب النصح والرد على المخالفين، حفاظًا على وحدة الأمة واجتماعها بزعمهم، إلى غير ذلك من المقاصد الباطلة التي يُخفونها وراء هذا الشعار، و يدسونها خلف هذا الأصل .

قال العلامة ربيع المدخلي حفظه الله:« إن الأحزاب السياسية المعاصرة بما فيهم الإخوان المسلمون وفصائلهم، والفرق الضالة بما فيهم جماعة التبليغ يريدون أن يبقى هذا الظلام مخيما في العالم الإسلامي مطبقا عليه لا يحركون ساكنًا ضده وليس لهم إرادة في تبديده، وليس لهم نهج يدفعهم إلى إزاحته وإحلال التوحيد ونور الكتاب والسنة بديلاً عنه، فهم يحافظون على هذا الظلام ولا سيما ظلام الرفض والتصوف بحجة أنهم يحاربون أعداء الإسلام وهم ليسوا كذلك وبحجة «نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه »، وبحجة تجميع المسلمين بما فيهم الروافض ومن غلاة الصوفية لمواجهة أعداء الإسلام »[نقلا عن مقال: نور السنة والتوحيد عند أهل الحديث، وظلمات البدع والأهواء تخيم على غيرهم] .

** التزام الحكمة في الدعوة إلى الله **

التزام الحكمة في الدعوة إلى الله أمرٌ مطلوب، وهو أصلٌ من أصول الدعوة عند أهل السنة والجماعة، استنادًا منهم إلى قوله تعالى: (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) .

وقد بين الإمام ابن القيّم –رحمه الله- معنى الحكمة في الدعوة إلى الله كما في كتابه [مدارج السالكين(2/499)] بكلامٍ مختصرٍ جميلٍ حيث قال : «فالحكمة إذاً فعلُ ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي »انتهى .

ومن ذلك وضع اللِّين في وضعه، و وضع الشِّدَّة في موضعها، و جدال من يستحق الجدال بالتي هي أحسن، والتحذير ممن يستحق أن يُحذَّر منه، إلى غير ذلك مما تقتضيه الحكمة في الدعوة إلى الله .

و قد تظاهر أهل التحزب باستخدام أسلوب الحكمة في دعوتهم، ونادوا به كثيرًا وكثيرًا، وأفرطوا من الدندنة حوله،

وسمُّوا أنفسهم أهل الحكمة و الوسطية .

فما هي الحكمة المطلوبة في الدعوة إلى الله على مقاييس أهل التحزب إذًا ؟

الجواب: هي اللِّين ثمَّ اللِّين ولو مع أعداء الحق و السنة .

الحكمة في اصطلاحهم المعوج هي المداهنة للمبطلين والمخالفين والسكوت عن أباطيلهم وضلالاتهم وعدم الإنكار عليهم، ومن هذا المنطلق اعتبروا شدةِ أهل السنة على أهل البدع وهجرهم و نقدهم و التحذير منهم منافٍ للحِكمة التي لم يفهموا منها إلا التمييع والمداهنة .

قال العلامة ربيع المدخلي حفظه الله:« في هذا العصر أناس ينتهجون المنهج السلفي؛ فيذهبون يسلكون مسالك السياسيين في التهويل والتمييع والمداهنات ويسمون هذا حكمة .

أو شدة تهلك المنهج السلفي وتأخذ بخناقه وتشوهه وتنفِّر الناس منه، فلا هذا ولا ذاك؛ وإنَّما الاعتدال هو الذي يؤتي ويعطي الدعوة السلفية الصورة اللائقة بها من جمالها وحسنها ويسرها وبعدها عن المنفرات.. .

ويفهم بعض الناس من التيسير أنَّه المداهنة فيسلكون طرق المداهنة، ويفهم من الحكمة التي أمر الله بها يفهم منها أنَّها هي المداهنة، والطرق السياسية التي تقتل الإسلام فلا هذا ولا ذاك »["مجموعة كتب ورسائل الشيخ"(4/138-139)]

** مراعاة مصلحة الدعوة **

مراعاة مصالح الدعوة أمرٌ لازمٌ على الدعاة، إلا أن أهل التحزُّب قد اتخذوا من مصطلح « مراعاة مصالح الدعوة » طاغوتًا يُبرِّرون به ضلالاتهم وانحرافاتهم .

وفي بيان استغلال المبتدعة لهذا المصطلح، لابأس أن أنقل كلامًا مهمًّا للشيخ الفاضل محمد بن عمر بازمول من رسالته« عبارات موهمة »، حيث قال(ص13):« ومن هذه المقولات الموهمة:

قول بعضهم: « مصلحة الدعوة تقتضي ذلك ».

يقولون ذلك في مقامات يبررون فيها مخالفتهم لشرع الله تعالى، والخروج عن سنته صلى الله عليه وسلم، فصارت هذه الكلمة طاغوتاً يبرر لهم المخالفات الشرعية!

وهذه الكلمة إذا استعملت في محلها بحسب الشرع لا بأس، أمّا إذا استعملت تبريراً للخروج عن الشرع، فإنها تؤول إلى القاعدة الميكافيلية: « الغاية تبرر الوسيلة»

كيف يكون من مصلحة الدعوة مخالفتها؟ وهل يصح أن يقول مسلم: أنا أسرق لأتصدق؟! الجواب: لا يصح ذلك؛ لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً.

ويكرر بعض المشتغلين بالدعوة كلمة (مصلحة الدعوة)، وقد يتخذها بعضهم

سُلّماً يتوصل به إلى تحقيق أهداف أو تصورات فردية له، أو أهداف لجماعة أو حزب ينتمي إليه، فيتوصل باسم الدعوة إلى ذلك!
والحقيقة إن مصلحة الدعوة محكومة بالشرع، وإهدار الشرع في ذلك هو إهدار للدعوة، ووقوع في مستنقع النفعية، حيث تكون الغاية تبرر الوسيلة!
ولذلك ضبط العلماء المصلحة المعتبرة شرعاً، بأنها المندرجة تحت مقاصد الشرع، ولا تعارض الكتاب والسنة، والقياس الصحيح، ولا تفوت مصلحة أهم منها!
فهل يصح أن يقال: يجوز الكذب والغيبة والنميمة لمصلحة الدعوة؟!
هل يجوز أن تؤكل أموال الناس بالباطل بدعوى مصلحة الدعوة؟!
هل يصح أن تزيف الحقائق ويكتم الحق بدعوى مصلحة الدعوة؟!
سبحان الله!! كيف يستقيم الظل والعود أعوج؟!.. مصلحة الدعوة هي في تطبيق الشرع.. ومراعاة المصلحة من الدين، بل إن مقاصد الشرع تدور على جلب المصالح ودفع المفاسد، ولكن إذا لم يكن الداعية مقيداً نفسه بشرع الله، فإن ضابط المصلحة عنده يصيبه من الخلل ما الله به عليم، فيعود لا يرى مصلحة إلا في حدود ذاته وتحقيق الرياسة لها، أو مصلحة جماعته أو تنظيمه الذي ينتمي إليه، وصار ولاؤه لغير الله ورسوله من حيث لا يشعر!
أمّا أن يأتي الشخص لأمر فيه تحقيق مصلحة لنفسه أو لجماعته أو لمن يحب، فيقول: هذا من مصلحة الدعوة، فلا!
»انتهى .
يتبع..بإذن الله .